﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: 200]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا أمرَ اللّهُ رسولَهُ ﷺ في الآية السّابقة بالعفوِ والأمر بالعرف والإعراض عن الجاهلين، وكانت هذه الأمورُ في معاملةِ النّاس قد تفضي إلى الغضب، وقد يكونُ الغضب مدخلًا للشَّيطان؛ ليصدَّ عن أمرِ اللّهِ، ويحملَ على غيرِ ما أمرَ اللّه بهِ - جاء التَّوجيهُ والإرشاد بالالتجاءِ إلى اللّه تعالى.

العلاقةُ بين أمرِ الرَّسولِ بالعفو وما يتبعُهُ، وبين الاستعاذةِ من نزغِ الشَّيطان الرَّجيم

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾: من النَّزْغِ، وهو حمْلُ بعضِهم على بعضٍ بفسادِ ذاتِ بينهم، كما نَزَغَ الشيطانُ بين يوسف وإخوته، قال رؤبة:

واحذَرْ أقاويلَ العُداةِ النُّزَّغِ[1]

وهو نَخْس حِسّيّ (في البدن)، أو معنويٌّ للتَّحريك والإثارة[2].

2) ﴿فَٱسۡتَعِذۡ﴾: العَيْنُ والواوُ والذّالُ أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على مَعْنًى واحِدٍ، وهو الالتِجاءُ إلى الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه كُلُّ شَيْءٍ لَصِقَ بشَيْءٍ أو لازَمَهُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

فَإذا ما اسْتَثارَ الشَّيْطانُ غَضَبَكَ ليَصُدَّكَ عَنِ الإعْراضِ عَنِ الجاهِلينَ، ويَحْمِلَكَ على مُجاراتِهم ومُجازاتِهم، فاسْتَعِذْ باللّهِ، واسْتَجِرْ به مِن نَزْغِ الشَّيْطانِ، إنَّهُ سَميعٌ لِجَهْلِ الجاهِلينَ عَلَيْكَ، عَليمٌ بما يُذْهِبُ عَنْكَ نَزْغَ الشَّيطانِ[3].

الدَّعوةُ إلى الاستعاذةِ باللهِ الواقي من الشَّيطانِ ونزغِهِ وزيغه

(1) البيت مِنَ الرّجز، لرؤبة بن الحجاج، في ديوانه، ص: 98.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (نزغ).
(3) حومد، أيسر التّفاسير، ص: 1100.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾، وأثرُها في المعنى:

الواو استئنافيَّةٌ، لبيان موقفهِ من الشَّيطان، وما يجبُ عليه حيالَه إن حدثَ منه نزغٌ بعد بيان موقفهِ من الأناسيِّ في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: 199]. ويحتمل أن تكون عاطفةً على ما قبلَها، عَطَفَ جملةَ الشَّرطِ على جملة الأمر قبلَها؛ لما بينهما من علاقة السَّببِ بالمسبِّب، فمُجاهدةُ النَّفسِ في الإعراض عنِ الجاهلين قد تكمل في موطن، وتضعفُ في موطنٍ آخر، فإن حصلَ ذلك، واعتراك غضبٌ؛ فاستعذ باللّه، وقالَ بَعْضُ المُفَسِّرينَ: إنَّها راجِعَةٌ إلى قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1]. وعلى هذا لا يصحُّ أن يحملَ قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ على الإغواء والوسوسة، بل على ما قاله بعض المحقِّقين: إنَّه راجعٌ إلى قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، أي: يستخفَّنَّك غضبًا يحملك على تركِ الإعراض، أو النَّزغِ أدنى الوسوسة، فأمره تعالى بالاستعاذةِ من ذلك فيكفيهِ له؛ إذْ لم يُسلَّط على أكثر من ذلك[2].

عـطـفُ جـمـلـةِ الـشَّـرطِ على جـمـلـة الأمـرِ، لـما بينهما من عـلاقـةِ السَّبب بالمسبِّب

إيثارُ استعمالِ (إمّا) دون غيرها:

قولهُ: (وإمّا)، قال الزَّجاجُ: هذه (إنْ) الَّتي للجزاء، ضُمَّتْ إليها (ما)، والأصلُ في اللَّفظ (إن ما) مفصولة، ولكنَّها مدغمةٌ، وكُتِبَتْ على الإدغام، فاذا ضُمَّت (ما) إلى (إن) لزم الفعلُ النّونَ الثَّقيلة أو الخفيفة، وإنَّما تلزمه النّون؛ لأنَّ (ما) تدخل مؤكِّدةً[3]. وأوثِرَ التَّعبيرُ بـ(إمّا) للدَّلالة على حماية اللّه لنبيِّه ﷺ ممّا قد يقع من نزغ الشَّيطان، ولو كان ضعيف الاحتمال، يعني: إنْ حَصَلَ في

الـدَّلالـةُ على حـمـايـةِ الـلـهِ نبيَّهُ الكريم من نـزغِ الشَّيطانِ الرَّجيم

(1) عياض، الشّفا بتعريف حقوق المصطفى: 279/2.
(2) عياض، إكمالُ المُعْلِم بفَوائِدِ مُسْلِم: 505/1.
(3) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 58/1.

قَلْبِكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ، كَما أنَّهُ تَعالَى قالَ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَر: 65]، ولَم يَدُلَّ ذلك على أنَّهُ أشْرَكَ[1].

بلاغةُ استعمالِ النَّزغِ دونَ المسِّ:

النَّزغُ أدنى درجاتِ وسوسةِ الشَّيطانِ، وبه يكون استدراجُ الإنسان

في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ استعمل النَّزْغَ دونَ المسّ، والنَّزغُ أدنى درجات وسوسةِ الشَّيطان، وما يعتري الإنسانَ من الغضبِ، وعن الزَّجّاج: النزغُ أدنى حركةٍ تكون، ومن الشَّيْطانِ أدْنَى وسْوَسَةٍ، وهو النَّخْس، كأنَّه ينخس حين يغريهم[2]، وهو المناسب لسياقِ الآيةِ الكريمةِ، ومقام النَّبيِّ ﷺ وعصمته؛ فإنَّ أقلَّ درجاتِ الوسوسةِ وردتْ على سبيل الشَّكِّ في حصولها، فإن حصل شيءٌ منها؛ فإنَّ سياج الرَّحمةِ الإلهيَّةِ ستحيط النَّبيَّ ﷺ حتَّى لا يكون للشَّيطان عليه سبيل، "فَإنَّ الشَّيْطان قد يوسوس إلى الأنْبياء، ولَكِن لا يقبلونَ منه"[3]، والنَّزغُ حركةٌ فيها فسادٌ، وقلَّما تستعمل إلّا في فعل الشَّيطان؛ لأنَّ حركاته مسرعة مفسدة[4]، ومنه قول النَّبيِّ ﷺ: «لا يُشِرْ أحدُكم على أخيه بالسِّلاح، لا ينزغ الشَّيطان في الغضبِ وتحسين المعاصي، واكتساب الغوائل، وغير ذلك»[5]. وقد ذُكِرَ (المسُّ) في حقِّ المُتَّقين، وهو أقوى من النَّزغ، كما سبق بيانُهُ في المفردات.

بلاغةُ الاستعارةِ المكنيَّة:

إطلاقُ النَّزغِ على وسوسةِ الشَّيطانِ للمبالغةِ، والتَّنبيهُ على خطرها

في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ استعارةٌ مكنية، فالنَّزغُ والنَّسغُ والنخْسُ: الغَرْزُ؛ شُبِّهت وسوستُه للنّاس وإغراؤه لهم

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 436/15.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 347/7، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 627/1.
(3) ابن خمير، تنزيه الأنبياء عمّا نسب إليهم حثالة الأغبياء، ص: 71.
(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 491/2.
(5) الحديث يؤيّده في معناه ما ورد في فتح المبدي بشرح مختصر الزّبيديّ: 358/4: عن أبي هريرة ﷺ، عن النّبيّ ﷺ قال: «لا يُشرْ أحدكم على أخيه بالسّلاح، فإنّه لا يدري لعلّ الشّيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النّار»، وكذا ما جاء في رواية البخاريّ ومسلم بمثل هذا المعنى من كتاب التّرغيب والتّرهيب، باب: التّرهيب من ترويع المسلم: 29/3.

على المعاصي بغَرْزِ السّائق لما يسوقه على سبيل الاستعارةِ المكنيَّة، وإسنادُه إلى النَّزغ من قَبيل جَدّ جِدُّه، أي: وإمّا يحملنَّك من جهتهِ وسوسةٌ ما على خلاف ما أُمرت به من اعتراءِ غضبٍ أو نحوه[1].

لطيفةُ استعمالِ صيغةِ الفعل المضارعِ:

لا سلطانَ للشَّيطانِ على من آمنَ، واعتصمَ بالقرآنِ

في قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ استُعْمِل الفعل المضارع، دلالةً على استمرارِ الفعل، وتجدُّدِه، فمهما يكن من الشَّيطان من نزْغٍ، فإنَّ لك ملجأً لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ، فاستعذ باللّه، والمعنى: "فإذا ما استثارَ الشَّيطانُ غضبكَ ليصدَّك عن الإعراضِ عن الجاهلين، ويحملَك على مجاراتهم ومجازاتهم، فاستعذْ باللّهِ، واستجرْ به من نزغِ الشَّيطانِ، إنَّه سميعٌ لجهل الجاهلين عليك، عليمٌ بما يُذهب عنك نزغَ الشَّيطان"[2].

نكتةُ تأكيدِ الفعلِ بنون التَّوكيد في قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾:

إشارةُ السّياق إلى نزغِ الشَّيطان وخطره، وإلى مفاسدِهِ وأثرِه

ودخلتِ النّونُ مؤكِّدَةً أيضًا، كما لزمتِ اللّامُ النّونَ في القسم في قولك: واللّه لتفعلنَّ[3]، فلو قيل: (ينزغْك)؛ لَما كان في قوَّة ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ لمكان نون التَّوكيد، ولتقويَةِ الفعلِ بالبناءِ على الفتحِ، ولزيادةِ جَرْسِ الكلمة الدّالِّ على خطَر المعنى وأثره.

سرُّ اتِّصالِ الفعلِ بالضَّميرِ الواقعِ مفعولًا في قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾:

إبرازُ ضررِ نزْغِ الشَّيطانِ، وتحذير المخاطبِ منهُ في كلِّ آنٍ

في اتِّصال كافِ الخطاب بالفعل مُسَوِّغٌ لتقديمِ المفعول على الفاعلِ، وهذا يشير إلى أهمّيَّته وعناية المتكلِّم به، كما يدلُّ على خفَّةِ النَّزغ وسرعته؛ بحيثُ يصل سريعًا إلى هدفه لولا فضلُ اللّه ورحمته لمن استعاذَ به من شرِّه.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 308/3.
(2) حومد، أيسر التّفاسير، ص: 1155.
(3) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 58/1.

بلاغةُ إسنادِ النَّزغِ إلى المصدرِ ﴿نَزۡغٌ﴾:

السّياق يحملُ مبالغةً، وإشارةً إلى حمايةِ اللهِ نبيَّهُ من الشَّيطانِ

في إسنادِ النَّزغِ إلى المصدرِ، وجَعْل النَّزْغِ نازغًا: مبالغةٌ، كما قيل: جَدَّ جِدُّه، وروي أنَّها لمّا نزلت قال رسول الله ﷺ: «كيفَ يا ربُّ والغضب؟» فنزل ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾، ويجوز أن يُراد بنزغِ الشَّيطان اعتراءُ الغضب، كقول أبي بكر ﷺ: "إنَّ لي شيطانًا يعتريني"[1]، وفي العدولِ عن إسناد النَّزْغِ إلى الشَّيطان إشارةٌ إلى حماية المخاطبِ مِنَ الشَّيطان؛ إذ إنَّ النزْغَ وإن كان صادرًا من الشَّيطان، ولكنَّه جاءَ على سبيل الاحتمال، وهذه خصيصةٌ بالمخاطبِ بهذا السّياق، "وَهذا الأمْرُ شامِلٌ لِلْمُؤْمِنينَ وحَظُّ المُؤْمِنينَ منه أقْوَى؛ لِأنَّ نَزْغَ الشَّيْطانِ إيّاهُم أكْثَرُ، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ مُؤَيَّدٌ بالعِصْمَةِ، فلَيْسَ لِلشَّيْطانِ عليه سَبيلٌ"[2]، وهذا يختلف عن السّياق الآخرِ الَّذي أسند فيه النزْغُ إلى الشَّيطان مباشرةً، كقوله: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يوسف: 100]، وقوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: 53].

فائدةُ قولِهِ: ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، وتقديمه على الفاعل ﴿نَزۡغٞ﴾:

بيانُ مصدرِ النَّزْغِ ليحذرَهُ المخاطب ويتوقّاه

أفادَ قولُه: ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ بيانَ موضعِ صدورِ النَّزْغِ، وأنَّه من الشَّيطانِ، لا من النَّفسِ، وحينئذٍ يكون الجارُّ والمجرورُ متعلِّقًا بالفعل قبله، ويجوز أن يفيدَ بيانَ حال النَّزغ الشَّيطانيِّ، وأنَّه ذو أثرٍ مختلفٍ، وأصله: (نزغٌ من الشَّيطان)، وحينئذٍ يكون متعلِّقًا بالفاعل بعده، أي: (نزغ الشَّيطانُ به) فكان من الشَّيطان، ويتعلَّق الجارُّ والمجرور بمحذوف يقع حالًا منه؛ لأنَّهُ في الأصل صفتهُ، فلمّا تقدَّم عليه أعربَ حالًا.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 190/2.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 230/9.

لطيفةُ جناسِ الاشتقاقِ في قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ و﴿نَزْغٌ﴾:

يشيرُ إلى اختصاصِ فعلِ النَّزغِ بواحدٍ وهو الشَّيطانُ

تبدو لطائفُ الجناس هنا من ذكرِ الفاعلِ من جنس حروفِ الفعل؛ وكأنَّه يشيرُ إلى اختصاصِ فعل النَّزغِ بواحدٍ، وهو الشَّيطان، "والنَّزْغ: حركةٌ فيها فسادٌ، قلَّما تُستَعمَلُ إلّا في فِعْلِ الشَّيطان، لأنَّ حركته مسرِعَةٌ مفسدة"[1]؛ حيث إنَّ إسنادَهُ إلى غيرِهِ لا يُتصوَّر، إلّا أن يكونَ الفاعلُ من ذات الفعل، وفي ذلك حُسنُ الإفادةِ، مع أنَّ الصّورةَ صورةُ الإعادة. "ومعنى هذا: أنَّ الكلمةَ المكرَّرةَ في التَّجنيس مع أنَّ الصَّورة توهمُ السّامعَ في أوَّلِ أمرِها أنَّها لم تَأْتِ بجديدٍ، بل هي مكرَّرةٌ لمعنى سابقتِها، فإذا حصل للسّامع منها المعنى الجديدُ، جاءه ذلك من غير مظانِّه، ومن حيثُ لم يتوقَّعه، وفي ذلك متعةٌ للنَّفس، وربحٌ من غيرِ انتظارٍ"[2].

دلالةُ الفاءِ، وأثرُ دخولها على الجوابِ:

سببُ الوقايةِ من الشَّيطانِ، الاستعاذةُ بالله الواقي من زيغه الفتّان

الفاءُ في قولِه: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ واقعةٌ في جوابِ الشَّرْطِ، وإنَّما اختيرت (الفاء)، من قِبَل أنَّ الجزاءَ سبيله أن يقع ثاني الشَّرط، وليس في جميع حروفِ العطف حرفٌ يوجد هذا المعنى فيه سوى (الفاء)؛ فدخلتْ (الفاء) في جوابِ الشَّرطِ توصُّلًا إلى المجازاةِ[3].

العدولُ عن (فاستعن)، وإيثارُ الفعلِ ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾:

الدَّلالةُ على قوَّةِ المستعاذِ بهِ، وضعفِ العبدِ المستعيذِ

أوثرَ الفعلُ (استعذ)؛ لأنَّهُ يدلُّ على قوَّة المستعاذ به من جهةٍ؛ للالتجاء إليه، والاحتماء به، وضعف العبد المستعيذ من جهة أخرى، وفيه إظهارُ الانكسارِ لله تعالى، والاستكانة له، والتَّذلُّل لعظمته، والتَّبرُّؤ من الحولِ والقوَّة، وترك الالتجاءِ لغيرِ الله تعالى.

(1) الثّعالبيّ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: 107/3.
(2) المطعنيّ، خصائص التّعبير القرآنيّ وسماته البلاغيّة: 442/2.
(3) ابن جِنّيّ، سِرّ صناعة الإعراب: 252/1، والواحديّ، التّفسير البسيط: 255/2.

فائدةُ الاستعاذةِ عند نزغِ الشَّيطانِ:

تَـجْـديـدُ داعـيَـةِ العِصْمَةِ المَرْكوزَةِ في نفسِ النَّبيِّ ﷺ

فائِدَةُ هذه الاسْتِعاذَةِ تَجْديدُ داعيَةِ العِصْمَةِ المَرْكوزَةِ في نفس النَّبيِّ ﷺ لِأَنَّ الاسْتِعاذَةَ باللّه مِنَ الشَّيْطانِ اسْتِمْدادٌ لِلْعِصْمَةِ، وصَقْلٌ لِزُكاءِ النَّفْسِ مِمّا قد يَقْتَرِبُ مِنها مِنَ الكُدُراتِ، وهذا سِرٌّ مِنَ الاتِّصالِ بَين النَّبيِّ ﷺ ورَبِّه وقد أشارَ إليه قَولُ النَّبيِّ ﷺ: «إنَّهُ لَيُغانُ على قَلْبي، وإنّي لَأَسْتَغْفِرُ اللّه في اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»[1]، فبذلك تَسْلَمُ نَفْسُهُ مِن أنْ يَغْشاها شَيْءٌ مِنَ الكُدُراتِ، ويَلْحَقُ به في ذلك صالِحوا المُؤْمِنينَ[2]، ولَعَلَّ اللّه ادَّخَرَ خُصوصيَّةَ الاسْتِعاذَةِ لِهذه الأُمَّةِ، فكَثُرَ في القرآنِ الأمْرُ بالاسْتِعاذَةِ مِنَ الشَّيْطانِ، وكَثُرَ ذلك في أقْوالِ النَّبيِّ ﷺ وجُعِلَ لِلَّذينَ قَبْلهم الأمْرُ بالتَّذَكُّرِ، كَما ادَّخَرَ لَنا يَوْمَ الجُمُعَةِ[3].

دلالةُ الباءِ في قولِه: ﴿بِٱللَّهِۚ﴾، وفائدةُ التَّصريحِ باسمِ الجلالةِ:

الإلصاقُ وإظهارُ اسمِ الجلالةِ، لدفعِ إيهامِ عودِ الضَّميرِ إلى الشَّيطانِ

الباءُ في قَوْلِه: ﴿بِٱللَّهِۚ﴾ باءُ الإلْصاقِ، وهذه الباءُ مُتَعَلِّقَةٌ بالفِعْلِ، والفائِدَةُ فيه: أنَّهُ لا يُمْكِنُ إلْصاقُ ذلك الفِعْلِ بنَفْسِه إلّا بواسِطَةِ الشَّيْءِ الَّذي دَخَلَ عليه، هذا الباءُ فهو باء الإلصاق لِكَوْنِه سَبَبًا لِلْإلْصاقِ[4]. وإظهارُ اسم الجلالة هنا واجبٌ؛ لأنَّه لو قيل: (فاستعذْ به)؛ لحصلَ لبسٌ، وهو عودُ الضَّمير إلى الشَّيطانِ، كما أنَّ في ذكر اسمِ الجلالة دون غيرِه من الأسماءِ الحسنى تربيةً للمهابةِ في القلوب، ودفعًا لنزغات الشَّيطان المتنوِّعة باسم (اللّه) الَّذي هو علمٌ على الذّات العليَّة، ويحمل كلَّ معاني الجلالِ والكمالِ والجمال، فالمستعيذُ باللّه مستعيذٌ بالذّات والصِّفات.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه: برقم: (2702)، وأبو داود في سننه، برقم: (1515).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 296/24.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 232/9.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 96/1.

دلالةُ الوقفِ على قولهِ تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ﴾:

الوقفُ القرآنيُّ، يمنحُ القارئَ والمستمعَ مُهْلةً للتَّأمُّلِ والتَّدبُّر

قوله: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ﴾ وقفٌ حسن[1]؛ لأنَّه تمامُ جملة الشَّرط، والوقف عليه يمنحُ القارئَ والمستمع مُهْلةً للتأمُّل والتَّدبُّر والتَّطبيق العمليِّ، فيُمَكِّنه من الاستعاذةِ فوْرَ قراءتهِ لهذا الأمر الإلهيِّ[2]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ تامٌّ[3].

بلاغةُ فصلِ جملةِ: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ عمّا قبلَها:

دلالـةُ التَّعليلِ للجوابِ بقوله تعالى: (فاسْتَعِذْ باللهِ إنَّهُ سَميعٌ عَليمٌ)

استئنافٌ بيانيٌّ؛ حيث إنَّه تعليلٌ للجوابِ ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ﴾، فجُمْلَةُ: إنَّهُ سَميعٌ عَليمٌ في مَوْقِعِ العِلَّةِ لِلْأَمْرِ بالاسْتِعاذَةِ مِنَ الشَّيْطانِ باللّه، على ما هو شَأْنُ حَرْفِ (إنَّ)، إذا جاءَ في غَيْرِ مَقامِ دَفْعِ الشَّكِّ أوِ الإنْكارِ، فإنَّ الرَّسول ﷺ لا يُنْكِرُ ذلك، ولا يَتَرَدَّدُ فيه، والمُرادُ: التَّعْليلُ بلازِمِ هذا الخَبَرِ، وهو عَوْذُهُ مِمّا اسْتَعاذَهُ منه، أيْ: أمَرْناكَ بذلك؛ لِأنَّ ذلك يَعْصِمُكَ مِن وسْوَسَتِه؛ لِأنَّ اللّه سَميعٌ عَليمٌ[4].

علاقةُ الفاصلةِ بسياقِ الآيةِ:

مناسبةُ لفظي (سَميعٌ عَليمٌ) للفاصلة، وضرورةُ استحضارِ معنى الاستعاذة

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يَدُلُّ على أنَّ الاستعاذةَ بلسان لا تُفيدُ إلّا إذا حَضَرَ في القَلْبِ العِلْمُ بمعنى الاسْتِعاذَةِ، فكَأنَّهُ تَعالَى قالَ: اذْكُرْ لَفْظَ الاسْتِعاذَةِ بلِسانِكَ فإنّي سَميعٌ، واسْتَحْضِرْ مَعانيَ الاسْتِعاذَةِ بعَقْلِكَ وقَلْبِكَ، فإنّي عَليمٌ بما في ضَميرِكَ، وفي الحَقيقَةِ

(1) الوقف الحسن: الذي يكون عند تمام الكلام، وله تعلق بما بعده من جهة اللَّفظ، وسمَّى كذلك؛ لأنَّه في نفسه حسن مفيد، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتَّعلُّق اللَّفظيِّ، الا أن يكون رأس آية، فإنَّه يجوز في اختيار أكثر أهل الأداء. ينظر: الإبياريّ، الموسوعة القرآنيّة: 27/5.

(2) ورد ذلك في السنَّة، ولكن ليس ثمَّة دليل على قطع جزء الآية بالاستعاذة، أو الدُّعاء، ويفضَّل ختْم الآية؛ تأدُّبًا حتّى لا يدخلَ كلامُنا في كلام الله تعالى، فعَنْ حُذَيْفَةَ، قالَ: «صَلَّيْتُ معَ النَّبيِّ ﷺ لَيْلَةً، فكانَ إذا مَرَّ بآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ، وإذا مَرَّ بآيَةِ عَذابٍ تَعَوَّذَ، وإذا مَرَّ بآيَةٍ فيها تَنْزِيهٌ لِلَّهِ سَبَّحَ»، رواه أبو داود في: باب ما يقول الرّجل في ركوعه وسجوده، من كتاب الصّلاة، برقم: (871)، والنّسائيّ، في: باب تعوُّذ القارئ إذا مرَّ بآية عذاب، وباب مسألة القارئ إذا مرَّ بآية رحمة، من كتاب افتتاح الصّلاة، وفى باب الذّكر في الرّكوع، وباب نوع آخر (من الدّعاء في السّجود)، برقم: (1008) و(1009).

(3) الأنباريّ، إيضاح الوقف والابتداء: 675/2.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 231/9.

القَوْلُ اللِّسانيُّ بدونِ المَعارِف القلبيَّة عديمُ الفائدةِ والأثرِ[1]، ولمّا كان الغَرَضُ مِنَ الاسْتِعاذَةِ الاحْتِرازَ مِن شَرِّ الوَسْوَسَةِ، ناسبها هذان الوصفان للّه تعالى، وهما ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ومَعْلومٌ أنَّ الوَسْوَسَةَ كَأنَّها حُروفٌ خَفيَّةٌ في قَلْبِ الإنْسانِ، ولا يَطَّلِعُ عَلَيْها أحَدٌ، فكَأنَّ العَبْدَ يَقولُ: يا مَنْ هو على هذه الصِّفَةِ الَّتي يَسْمَعُ بها كُلَّ مَسْموعٍ، ويَعْلَمُ كُلَّ سِرٍّ خَفيٍّ، أنْتَ تَسْمَعُ وسْوَسَةَ الشَّيْطانِ، وتَعْلَمُ غَرَضَهُ فيها، وأنْتَ القادِرُ على دَفْعِها عَنّي، فادْفَعْها عَنّي بفَضْلِكَ، فلِهذا السَّبَبِ كانَ ذِكْرُ السَّمِيعِ العَلِيمِ أولَى بهذا المَوْضِعِ مِن سائِرِ الأذْكارِ[2].

نكتةُ إردافِ صفةِ العلمِ صفةَ السَّمْعِ هنا:

استعاذةُ (السّميعُ البَصيرُ) من شَرِّ الإنسِ، و(السّميعُ العَليمُ) من شَرِّ الشَّيطانِ

نتأمَّل حكمةَ القرآنِ كيف جاءَ بالاستعاذةِ من الشَّيطانِ الَّذي نعلمُ وجودَه، ولا نراهُ بلفظ: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ هنا وفي [فصلت: 36]، وجاءتِ الاستعاذةُ من شرِّ الإنسِ الَّذين يؤنَسون، ويُرَوْنَ بالإبصار بلفظ: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ في [غافر: 56]؛ لأنَّ أفعالَ هؤلاء معاينةٌ بالبصر، وأمّا نزغُ الشَّيطان؛ فوساوس وخطراتٌ يُلقيها في القلب، يتعلَّق بها العلم، فأمَرَ بالاستعاذة بالسَّميع العليم فيها، وأمرَ بالاستعاذة بالسَّميعِ البصيرِ، في باب ما يُرَى بالبصرِ ويُدْرَكُ بالرُّؤيةِ[3].

سِرُّ العدولِ عن التَّوكيدِ بضميرِ الفصلِ هنا:

في (فُصِّلَتْ) ضميرُ الفصل (هو) بعد دعاءٍ إلى ما يشقُّ فعلُه، وهنا ليسَ كذلك

إنَّ الَّذي في سورة فُصِّلَتْ في قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فُصِّلَت: 36] لمّا كان بعدَ دعاءٍ إلى ما يشقُّ على الإنسانِ فعلُهُ، وهو أن يدفعَ السَّيِّئَةَ بالحسنةِ، ويقابلَ غلظةَ عدوِّه بالملاينةِ، استكفافًا لشرِّه وأذاه حتَّى يعود إلى

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 436/15.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 436/15.
(3) ابن قيم الجوزيّة، تفسير القرآن الكريم، ص: 648.

اللُّطفِ في المقال والجميلِ في الفِعال، فيصيرُ وإن كان عدوًّا كأنَّه صديقٌ حميمٌ قريبُ القُرْبى[1].

نكتةُ المجيءِ بصفتي ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ نكرتين:

لَمّـا نـفـى عـن آلهتهم شبهها بالأحياء؛ وردت الصِّفتان نكرتين

وردتِ الصِّفتانِ الكريمتانِ هنا: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ من دون (ال)، وفي سياق آخرَ بـ(ال) في قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فُصِّلَت: 36]، فوردت الصِّفتان في سورةِ الأعرافِ على طريقة التَّنكيرِ ووردتا في السّورة الأخرى معرفتين، وزيد قبلهما الضَّميرُ الواقعُ فصلًا، فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾؛ لأنَّ سورةَ الأعرافِ تقدَّم فيها قبل الآية وصفُ آلهتهم المنحوتة من الحجارةِ والخشبِ الَّتي وُبِّخوا بعبادتها، في قوله في موضع آخر: ﴿قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥﴾ [الصافات: 95]، فوصفت هنا بأنَّها لا تخلق شيئًا، ولا يستطيعون لهم نصرًا، ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨﴾ [الأعراف: 198]، فنفى عنهم القدرةَ والسَّمع والبصرَ وآلةَ المشي، وآلةَ البطش، بقوله: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۚ﴾ [الأعراف: 195] ولم يتقدَّم هنا ما يوهِمُ أدنى شيءٍ يلحقُها بشبهِ الأحياء، فضلًا عمّا فوق ذلك، فوردتِ الصِّفتانِ بقولهِ: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ موردًا لم يتقدَّمه ما يوهم صلاحيَّة شيء من ذلك لغيره تعالى ممّا عبدوه من دونه، ممّا قصد هنا، ولا ذكر دعوى شيء من ذلك من مدَّعٍ، فيستدعي ذلك التَّوهُّم مفهومًا ينفيه، فجاء على ما يجبُ، أمّا آيةُ فُصِّلت؛ فتقدَّم قبلَها قولهُ تعالى: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢﴾ [فُصِّلَت: 22]، وقوله تعالى: ﴿*وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ [فصلت: 25] وقوله تعالى: ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [فصلت: 25]،

(1) الخطيب الإسكافيّ، درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، ص: 1146.

فحصل من هذا أنَّ مُضلّيهم إنَّما كانوا من عالَم الإنسِ والجنِّ، وكلا الصِّنفين موصوفٌ بالسَّمع والبصر، وممّن ينسب إليه علمٌ بخلاف المقدَّم ذُكِر في الأعراف، فلمّا تقدَّم في سورة فصِّلت مَن يُظنُّ منه الغنى، ويمكن منه أن يسمعَ ويبصرَ، ويعلم، ناسبهُ التَّعريف في الصِّفة؛ ليعطيَ بالمفهوم نفيَ ذلك عن غير الموصوف بهما تعالى، ثمَّ أكَّد ذلك بضمير الفصل المقتضي التَّخصيص، ليقوى المفهوم المسمَّى عند كثير من الأصوليين بدليل الخطاب[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّزغُ والمسُّ والوسوسةُ:

المسُّ طيفٌ يُلمُّ بالإنسان، والنَّزغُ أدنى درجاتِ الوسوسةِ، وهي من الشَّيطان أعمُّ

النَّزغُ: أدنى حركة تكون من الآدميِّ، ومن الشَّيطان أدنى وسوسةٍ، وأمّا المسُّ؛ فهو الطَّيف يُلمُّ بالإنسان، فيجعلُ فيه وسوسةً، ويبعثُ فيه غضبًا، وينشر فيه فزعًا، والوسوسة أعمُّ، وأصلُها الصَّوْت الخَفيُّ،[2] ومِنه يُقال لصوت الحليِّ: وسواسٌ، وكلُّ صَوتٍ لا يفهم تَفْصيله لخفائِه: وسْوَسَة ووَسواس، وكَذلك ما وقع في النَّفس خفيًّا، وَسَمّى القرآنُ الموسوسَ وسواسًا بالمَصْدَرِ في قَوْله تَعالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [النّاس: 4]، ولا تصبحُ وسوسةُ الشّيطان سلطانًا الا إذا أُطيع فيما يوسوسُ بهِ من الكفرِ، ويوضِّحُ هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّما سُلْطَٰنُهُۥ على ٱلَّذينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وٱلَّذينَ هُم بهِۦ مُشْرِكونَ ۝١٠٠﴾ [النّحل: 100].

والنَّزغُ أدنى درجاتِ الوسوسةِ، فالنَّزغ هو الإغواءُ بالوسوسةِ، وأكْثر ما يكون عند الغَضَب، ويطلق للإزعاج بالحركة إلى الشَّرِّ، ويُقال: هَذِه نزغةٌ من الشَّيْطان للخصلةِ الدّاعيةِ إلى الشَّرِّ[3].

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 223/1.
(2) سامي القدومي، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: 199.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 67، وابن منظور، اللّسان: (نزغ)، (وسوس).

العَوذُ واللَّوذُ:

العوذُ في لغةِ العرب: الالتجاءُ أو الالتصاقُ، قال الجوهريُّ: أطيبُ اللَّحم عُوَّذُه (على وزن سُكَّر)، وهو ما التصقَ منه بالعظم، أي: التجِئْ إلى رحمةِ اللهِ، أو التصِقْ بفضلِه، وكأنَّ المستعيذَ باللهِ يتحصَّنُ من وجوهِ السّوءِ، تحصُّنَ المخِّ في داخلِ العظم[1]، واللَّوْذُ: مَصْدَرُ لاذَ يَلوْذُ لِواذًا ولياذًا ولَوْذًا، وألاذَ به: وهو أنْ يَسْتَتِرَ بشَيْءٍ مَخافَةَ مَنْ يَراهُ أو يَأْخُذُهُ، والمَلْوَذَةُ: المَوْضِعُ يُلاذُ به، ويُجْتَمَعُ إليه[2]، والعوذُ مِن شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ، والعياذَةُ تَكونُ لِدَفْعِ الشَّرِّ، واللّياذُ يَكونُ لِطَلَبِ جَلْبِ الخَيْرِ، كَما قالَ المُتَنَبّي[3]:

يا مَنْ ألوذُ به فيما أُؤَمِّلُهُ *** ومَنْ أعوذُ به فيما أُحاذِرُهُ

لا يَجبُرُ النّاسُ عَظْمًا أنْتَ كاسِرُهُ *** ولا يَهيضونَ عَظْمًا أنْتَ جابِرُهُ

العَوذُ يكونُ لجوءًا ممّا يخافهُ العائذُ ويحذرُه، واللَّوذ ممّا يريده اللّائذُ ويؤمِّلُه

(1) ابن هُبيرة، الإفصاح عن معاني الصّحاح: 334/8، والنيّسابوريّ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 15/1.
(2) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (لوذ).
(3) البيتان من بحر البسيط لأبي الطّيّب المتنّبي، في ديوانه، ص: 41، قالهما المتنبي في مدح جعفر بن كيغلغ من قصيدة مطلعها:
حاشَى الرَّقيبَ فخانَتْهُ ضَمائرُهُ *** وغَيَّضَ الدَّمْعَ فانْهَلَّتْ بَوادِرُهُ
وقد أسرف في المدح. قال ابن كثير في البداية والنّهاية: 275/11: "بلغني عن شيخنا العلّامة شيخ الإسلام ابن تيميّة أنّه كان ينكر على المتنبّي هذه المبالغة في مخلوق، ويقول: إنّما يصلح هذا لجناب الله ﷻ"، وقال ابن القيّم: "سمعت ابن تيميّة يقول: ربّما قلت هذين البيتين في السّجود، أدعو الله بما تضمّناه في الذّلّ والخضوع"، وقال ابن القيم أيضًا في شفاء العليل في القضاء والقدر: 191/2: "ولو قال ذلك في ربّه وفاطِره لكان أسعدَ به من مخلوق مثله".

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»